إلى عبادة تنتجها عبودية

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في جامع العادلية بحلب بتاريخ 2009/2/6م

قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ {14} الحجرات

هكذا قرر القرآن الكريم حين أقبل جمع من الناس يماثلون المسلمين في أفعالهم ويشاكلونهم في ظواهرهم لكنهم يتباينون معهم في أحوال قلوبهم.

وفرق شاسع بين السابقين الأولين الذين رسخ النبي صلى الله عليه وسلم فيهم حقائق الإيمان وأركان العقيدة حتى صاروا أهل محبة الله، وتحققوا بالصلة به، فلما تنـــزلت شرائع الإسلام بادروا إلى تطبيقها وطاعة الله فيها، فرق بينهم وبين من نظر إلى أفعال الإسلام فتحرك بها، وشابه في ظاهره أفعال المسلمين.

هذا في الجيل الأول، فإذا انتقلنا أيها الإخوة الأحبة إلى ما آل إليه واقعنا في أمتنا الكبيرة في الآونة الأخيرة لربما نفاجأ حين نرى أن الأكثر من هذه الأمة ينتسب إلى ذلك الصنف الأعرابي الذي وصف في القرآن.

فالعبادات موجودة في أشكالها ومتقررة في أوصافها، لكنك حينما تدخل إلى البواطن تجد كثرة التعلقات التي لا تعبّر عن وصف السابقين الأولين الذين بنى فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حقائق الإيمان.

وقد يقول قائل هل شققت عن قلوب الناس لتَخرج بذلك الحكم؟

أقول أيها الإخوة إن حقائق الإيمان ليست قضية يدعيها الإنسان إنما هي مسألة مدللة بأدلة، وعليها علامات، فالسابقون الأولون الذين بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حقائق الإيمان تركوا أوطانهم من أجل الله وبعض منهم تركوا أزواجهم من أجل الله، وتركوا أموالهم من أجل الله، وباعوا أنفسهم وأموالهم لله تبارك وتعالى، حتى إن أكثرهم لم يكن موتُه في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقبر أبو عبيدة في الشام، وقبر معاذ، وقبر جعفر، وقبر زيد، وقبر عبد الله بن رواحه، وقبر خالد بن الوليد، وقبر بلال الحبشي...الخ.

فلم تكن حقائق الإيمان التي بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم مجرد دعاوي إنما ظهرت معها العلامات السلوكية الدالة عليها، وهي الآن لا تظهر في سلوكنا، لهذا فنحن نشترك معهم في العبادة، وبعض الأحكام الفقهية، والممارسات العملية، لكننا لا نرى الأعمال التي تنبثق من الأحوال.

وحين تتقرر الأعمال السلوكية الإسلامية ولا تكون نتيجة لتلك الأحوال، نصبح كأولئك الأعراب.

ورحم الله العالم الرباني الذي قال: "حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال"

نعم أيها الإخوة فحركتنا العملية انحصرت في أداء بعض العبادات وغبنا عن مسرح الحياة، فلا وجود لنا في الاقتصاد، ولا وجود لنا في البحوث العلمية، ولا وجود لنا في دراسات الاجتماع، ولا وجود لنا في الأداء السياسي المميز الذي يصدر عدالة ومساواة، بل نلاحظ أن أعمالنا صارت مختصرة ومقزّمة لأنها دخلت من طريق الحركة، ولم تكن نتيجة لمقدمات تتعمر فيها القلوب بالأحوال النورانية.

وقد أردت في هذه الساعة المباركة أن أميز بين مفهومين: مفهوم العبادة ومفهوم العبودية.

فأزمة المسلمين – قبل أن نتحدث عن غير المسلمين– أنهم تحركوا إلى العبادة لكنَّ حركتهم إلى العبادة لم تكن منبثقة عن عبودية لله.

وحين نتحدث عن العبادة فهي باختصار الطاعة لله سبحانه وتعالى في السلوك العملي كيفما كان ذلك السلوك، أما العبودية فهي شعور بالخضوع والاستلام والذل...لحضرة مولانا خالق الكون، سبحانه وتعالى الملك الذي لا إله إلا هو.

العبودية: حال يستشعر فيه الإنسان ضعفه وحاجته إلى الله، فلا يستطيع أن يطغى، ولا يستطيع أن يعلو، ولا يستطيع أن يتجبر، ولا يستطيع أن يظلم لأنه يستشعر في باطنه أنه عبد لله، وأنه في قبضة قدرة الله، وهيمنة سلطانه.

العبادة: انضباط الحركة العملية في ممارسات قد تكون محددة توقيفية كالصلاة والصيام، أو في مساحات واسعة تشمل السلوك الإنساني كله في العلم والعمل والبناء والإعمار.

والله سبحانه وتعالى أشار إلى هذين المفهومين (العبادة والعبودية) في كتابه العزيز، فوصف أحبائه بالعابدين الذين مارسوا العبادة وكانت متقررة في سلوكهم العملي، ووصفهم أيضا بالعبودية له.

اقرؤوا قوله تعالى:

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ، وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ، وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ تنبهوا أيها الإخوة إلى مصطلح القرآن: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ والفعل حركة سلوكية عملية ﴿ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[الأنبياء: 69-73]

وهكذا أدرج القرآن لفظ العابد في منظومة عملية سلوكية، لينبهنا إلى أن مظهر العبادة إنما هو مظهر عملي يتحرك الإنسان في سلوكه به.

لكنك في نفس الوقت تجد القرآن يتحدث عن أيوب فيقول:

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:44]. نعم العبد لأن الرب ارتضاه عبدًا حين وجد فيه وصف العبودية فاستحق شهادة الله تعالى له بأنه عبد حقًا.

وقال في حق الملك سليمان، الملك النبي الرسول: ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾

قال في حق الصابر على البلاء: ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ لأنه كان في الضراء عبدًا، وقال في حق الملك الذي لم يتجبر و لم يتكبر بل كان ممتثلاً في ظاهره ومستسلمًا في باطنه لسلطان الله.قال: ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ .

وقال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف:59]

وقال: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:172]

وقال في حق نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: 3]

وقال في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن:19].

إذًا ورد في القرآن لفظ العابد وهو من العبادة، وورد لفظ العبد وهو من العبودية لله.

لكنه مع تقرير هذين المصطلحين أيها الأحبة ينبه إلى ظاهرة العبودية لغيره، حينما تتمكن من القلوب، واقرؤوا على سبيل المثال خطاب موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون الذي يقول له فيه: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء:22] وبنو إسرائيل كانوا مثالاً في القرآن لمن يتمسك في العبادة وينصرف عن العبودية لله، فقد عوَّدهم فرعون زمنًا طويلاً على العبودية له، حتى ألفت قلوبهم ذلك و لم تقدر

أن تخرج منه، فكانوا يعيشون في خوف ورهبة منه وذلٍّ، أي أنهم كانوا يعيشون في أحوالهم العبودية لفرعون ﴿ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾

والشاهد على ذلك أيها الإخوة سيرتهم فبعد أن صحبوا موسى عليه الصلاة زمنا طويلاً ومروا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا ﴾[الأعراف:138] فقد كانوا يتحركون خلف موسى بالعبادة، لكن قلوبهم لم تخرج عن حال العبودية لفرعون، وحينما وجدوا الصنم يعبد، بعدما مات فرعون الذي هيمن على قلوبهم بحثوا عن البديل وقالوا: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا ﴾[الأعراف:138] وعندما وقفوا عند الاختبار والامتحان الذي ينجح فيه من تخرج باطنه مدرسة العبودية ودعاهم موسى عليه الصلاة والسلام إلى القتال بأمر الله سبحانه وتعالى فشلوا في الامتحان وأجابوه: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:24] عندها شهد موسى عليه الصلاة والسلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:25]

إذًا أيها الإخوة: أزمتنا أزمة عبادة لا تنبثق عن عبودية، فالعبودية إذا دخلت إلى القلب تُنتج الأعاجيب، أما العبادة التي يكون المسلم مقتصرًا عليها ولا تكون منبثقة عن عبودية فإن الإنسان يلجأ فيها غالبًا إلى الاكتفاء بالمظاهر التي تقنعه وتقنع المغفلين من أمثاله بأنه مسلم، وأنه من الملّة التي تفوز يوم القيامة بالنجاة، لا...

فالمعادلة ليست كذلك، فالفائز يوم القيامة بالنجاة هم الذين سلمت قلوبهم ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ، إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:88- 89] النجاة يوم القيامة لا يكون ميزانها ما يظهر في سلوكنا العملي وحسب، إنما ما يكون ما في قلوبنا: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ، إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:88- 89].

في مقابل ذلك يقول: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان:23]

ويقرر الحبيب المصطفى صل الله عليه وسلم في الحديث: (إنما الأعمال بالنيات) فلا قيمة للعمل إلا حينما ينبثق عن النية، فإذا كان العمل صادرا عن القلب السليم يكون عند الله تعالى معتبرًا، وإذا انبثق هذا العمل عن قلب عبوديته لغير الله تبارك وتعالى، لا يكون هذا العمل معتبرًا.

ووصف الله تعالى الذين تمردوا على عبوديتهم لله فعبدوا غيره، حينما حكى عن بني إسرائيل الذي عصوا موسى في بواطنهم، وشاكلوا في ظواهرهم أفعاله، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 60]

فيأتي في حال بني إسرائيل شاهدان قرآنيان:

الشاهد الأول: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ .

والشاهد الثاني: قول الله تبارك وتعالى وهو يصفهم: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ .

والطاغوت: كان فرعون ومن ماثل فرعون، ومن جعله الإنسان في قلبه محل فرعون، فكل من طغى فهو طاغوت، وكل شيء يتجاوز عبوديته فهو طاغوت. ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص:4] أما العبودية لله فهي انخفاض له، وتواضع بين عباده.

أيها الإخوة من هنا يصف القرآن حالة العبادة من غير عبودية، وهو واقع يعيشه كثير من المسلمين بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ فلو كان يعبد الله عبادة تنبثق عن عبودية لكان راسخًا، ومطمئنًا، وموقنًا بربه ومتوكلاً عليه، ومستندًا إليه، ويقول كما قال الجيل الأول من السابقين: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:173]

هذا هو وصف من كانت عبادته عن عبودية، أما الذي تكون عبادته بدون عبودية، فإنه يعبد الله على حرف فتكون عبادته كالحرف الظاهر الذي لا يخبئ من ورائه أيا من المعاني.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: 11]

أيها الأحبة متى نتنبه إلى هذه الحقيقة، ونشعر أن الواجب في حركتنا الدعوية أن نتوجه إلى تعمير القلوب بالعبودية لله قبل أن نطالب الناس بالعبادة؟

فالأزمة اليوم أزمة بعد عن الله، والأزمة اليوم أزمة غفلة.

القاضي يرتشي، التلميذ يغش، الشاب يفتتن،...ما هذا؟ مع أنهم يصلون ويصومون، أليس هذا أيها الإخوة هو التوصيف الدقيق في المعنى الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾

عندما تكون مظاهرنا في العبادات الإسلامية طقوسية على كل المستويات، والصُعد، فإذا نظرنا إلى البواطن وجدناها تنتج سلوكًا يتناقض مع ما تقدم من العبادة.

وقد يقول قائل: إن الله سبحانه قال: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت:45] وأقول: نعم، إذا وجدت الصلاة التي فيها ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:5] حقيقةً، وإذا وجدت الصلاة التي فيها السجود الحقيقي بمعناه، لا وضع الجبهة على الأرض، وفرق بين سجود الرأس على الأرض وسجود القلب، فالرؤوس قد تنحني، لكن عبودية الإنسان لربه وحده لا تكون إلا عند سجود قلبه.

والعبودية أيها الإخوة نوعان: عبودية اختيار طُولبنا بها، وعبودية اضطرار، وقد تكون عبودية الاضطرار مفسرة وشارحة لمعنى حال العبودية الاختيارية المطلوبة التي نتحدث عنها.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ وهي عبودية اضطرار، فالأكوان مُطيعة لأمر الله تعالى بـــ﴿ كُنْ﴾، دون أن يكون فيها أي تمرد.

فالشمس تجري بـــ﴿ كُنْ﴾ والقمر بـــ﴿ كُنْ﴾، والشجر وكل السنن الكونية التي لم يكلفها الله سبحانه وتعالى، و لم يكن لديها اختيار في أن تطيع أو تعصي، فهي على الدوام طائعة خاضعة مستسلمة.

وعندما بدأ في الآية يذكر الجنس البشري قال: ﴿ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج:18].

أي حين وصل إلى الصنف البشري الذي يعيش حالة الاختيار بين العبودية لله، والعبودية لغيره قسّم الصنف البشري إلى صنفين:

صنف اختار العبودية لله سبحانه وتعالى وانسجم مع الكون المضطر في العبودية، فكان في اختياره موفقًا ومختارًا للصواب، وصنف هو الذي قال فيه:﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ فأبى أن يكون في العبودية لله، واختار أن يكون في العبودية لغيره﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ فهو الصنف الذليل، لأن الذي يكون في العبودية لله عزيز فقد أبى أن يكون عبدًا لمملوك مثله، أما الذي رجا بقلبه غير الله، وخاف بغيره من غير الله، وتعلق بقلبه بغير الله فإنه صنف ذليل. ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾.

وقال وهو يتحدث عن عبودية الاضطرار في الآخرة حين تنتهي عبودية الاختيار بانقضاء الدنيا ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 93] هناك يصبح المتكبرون والمتجبرون أمثال الذر يطأهم الناس بأقدامهم، وهناك يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، فقد ظهر الحق له، وعلِم أن ما كان يسمعه في الدنيا من الخطاب التكليفي حق، وندم وقال في نفسه: يا ليتني كنت عبدًا لله اختيارًا.

هناك يقول: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون:99-100]

هناك يقولون: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: 99] ويجيبهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ، إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا ﴾ [المؤمنون: 108ـــ109] إنه التقابل بين العِبَاد الذين تحققوا حقيقة بالعبودية لله، واستحقوا وصف العِباد الذين عاشوا معنى العبودية: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ، إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾[ص: 45-47] فوصفهم الذي يتصفون به أنهم في كل حركاتهم يتذكرون الدار ولا ينشغلون بالممر عن المقر، والدار هي الآخرة.

عباد الله هم الذين حضرت الدار في قلوبهم، حضرت دار محبوبهم في قلوبهم، فحنّوا واشتاقوا إلى دار الكرامة، لأن في دار الكرامة تلك لقاء محبوبهم، الذي ينـــزل رضوانه عليهم ويغمرهم بكرمه وفضله وإحسانه وإنعامه، أما غير عباد الله فإنهم غفلوا عن ذكرى الدار، واشتغلت قلوبهم بالدنيا التي هي الممر إلى الآخرة، والطريق إلى الدار.

هذا هو الفارق بين أهل العبودية الذين أفرزت عبوديتهم عبادة وبين من تلبست ظواهرهم بممارسات عملية إسلامية لكن بواطنهم لم تعش حالة العبودية لله سبحانه وتعالى، بدليلين:

- الدليل الأول: أنهم عاشوا بقلوبهم علاقة القلب بالعلائق.

- والدليل الثاني: أن حركتهم العملية كانت حركة يقنعون بها أنفسهم، لذلك كانت مختصرة ومجملة وانتقائية واصطفائية، فقد اختاروا ما يطيب لنفوسهم واختاروا مع ما يتناسب مع أمزجتهم، وحين طولبوا بما يتنافى مع طبائعهم وأمزجتهم وقفوا مع هواهم لأنهم عبيد هواهم.

إذًا: وفي الخاتمة أيها الإخوة علينا أن نتنبه إلى الأسباب التي تتعمّر بها القلوب بالعبودية لله، وعلينا أن نزن قلوبنا بميزان هذه الخالصة: ﴿ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ ..

وعندما أرسل الله حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم قال له: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى:4] ليكون في هذه الخالصة: ﴿ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ .

علينا أن نزن قلوبنا: هل تعيش متعة الدنيا، أم تنتظر الدار؟ هل تعيش الصلة بالله أم تعيش ذل العلائق؟ هل تختار اختيارًا انتقائيًا اصطفائيًا في ممارساتها العملية؟ أم أنها تفهم معنى ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود:112] ومعنى ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة:49] فيأخذ القرآن كله جملة واحدة..

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:85] إنها الانتقائية المقيتة التي يؤثر فيها الإنسان أن يدخل إلى المسجد ليصلي، ولكنه لا ينضبط في السوق ولا ينضبط بتعاليم الله سبحانه وتعالى وأمره له في على جميع الأصعدة.

القرآن الذي أراد الله سبحانه وتعالى لنا أن يكون منهاجنا في كل حياتنا العملية من غير انتقائية، فهو إمامنا في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والعبادة في المسجد، والسلوك الاجتماعي في الأسرة، والمعاملة بين الفرد والفرد والجماعة، والحاكم والمحكوم، والمحكوم والحاكم.

إنه المنظم للحياة.

القرآن الذي لا نختار منه إنما نلتزم فيه معنى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود:112] من غير تبديل ولا تحريف ولا انصراف عن جزئية واحدة من جزئياته.

هكذا نستطيع أن نستدل على أن عبادتنا أنتجتها عبودية.

ردنا اللهم إلى دينك ردًا جميلاً واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.